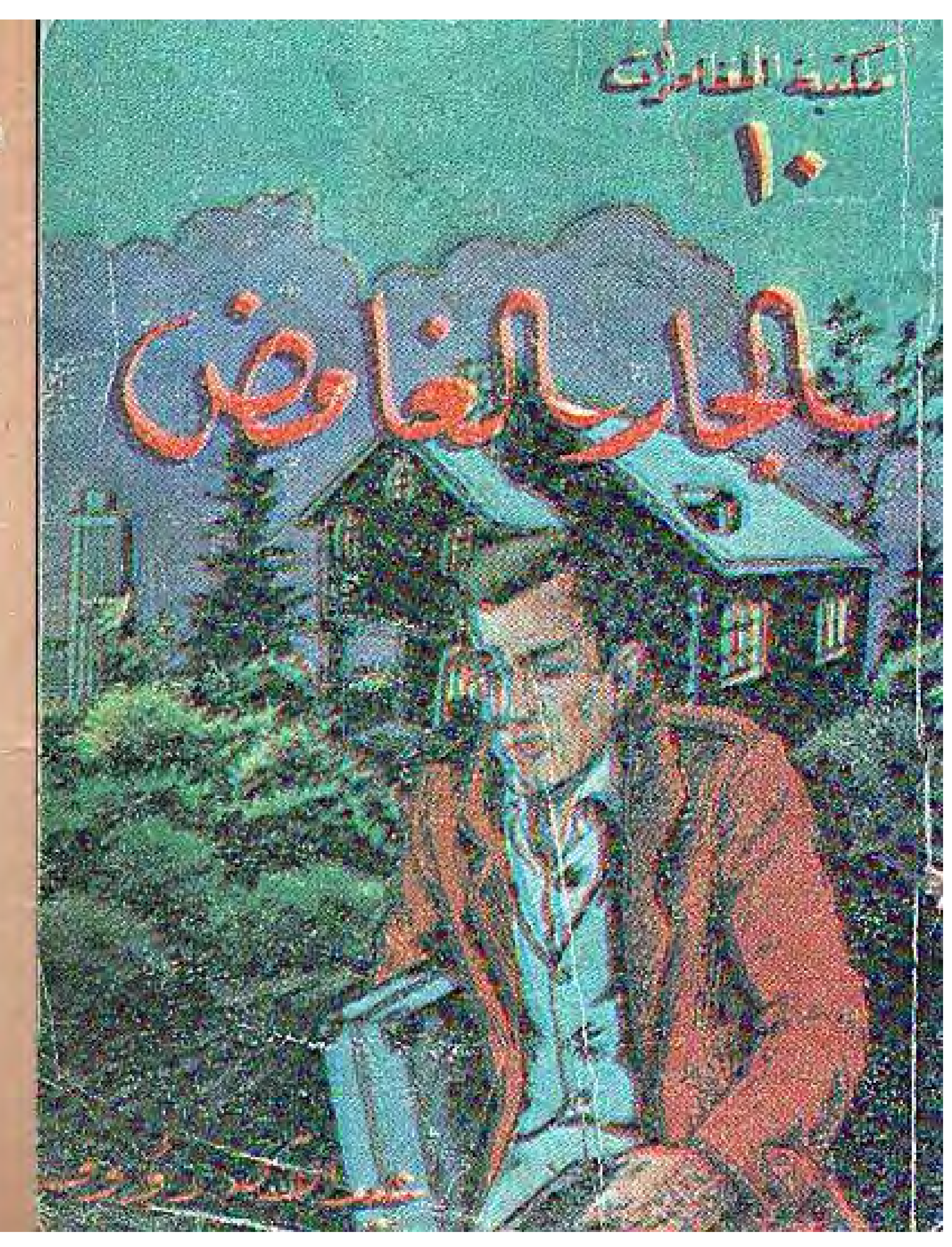


مكتبة المغامرات

١٠

الجار الغامض

عبدالاله رؤوف

١٩٨٤

قال أبي وهو محام مشهور بانه قد أصبح لنـا أخيرا جار جديد سوف ينــزل في البيت المجـاور لبيتنـا •

وقد دهشت لهذا الخبر فقد كنت أنا وشــقيقتي (سالي) نعلم ان البيت المجاور لبيتنا لا يمكن ان تسكنه الا العفاريت والاشباح • وان صاحبة البيت السيدة (هارتفرت) كانت تبحث عن مستأجر لـه منذ أكثر من ثلاث سنوات فقد كان جميع المستأجرين يهربون حالما يرون البيت من الداخل وقد سـبب عدم استئجار البيت طيلة هذه الفتــرة ألماً وقلقـاً للسيدة (هارتفرت) وانعكس على تصرفاتهـا مـع حفيدتها الوحيدة (دونـا) وقد كنا من أصدقـاء (دونا) ونحاول جهدنا أن نخفف عنها بعض ما تعانيه من جدتها وقسوتها وكنـا نبذل جهودا كبيرة لكي

نجعل علاقة دونا بجدتها علاقة حميمة رغم كل ما تعانيه (دونا) المسكينة دون مبرر •

(٢)

منذ أن حدثنا أبي عن أمر هذا الجار الجديد ونحن نلاحظ أمورا عجيبة تحدث في البيت المجاور لبيتنا فقد كان الجار الجديد قلما يغادر بيته كما لم يبدو أن هناك أي أثر للاولاد في البيت وقد كنا نأمل لو أنهم وجدوا أن نصادقهم ونلعب معهم وكل ما أذكره عن جارنا الغامض انه رجل في العقد الخامس من العمر وله لحية سوداء ويرتدي سترة بنية اللون رفع ياقتها حتى أطراف آذانه الكبيرة فقد رأيته ينظر الي من النافذة وأنا عائد من المدرسة • وقد سبب لي هذا المنظر بعض الخوف فأسرعت بدخول البيت وأنا لا أجرؤ على الالتفات

الى الخلف • وعندما قصصت على أختي (سالي) ما حدث معي في طريقي من المدرسة الى البيت قالت وهي ترفع الستارة وتطيل النظر الى بيت جارنا الغامض •

يا ترى ماذا يفعل طيلة هذا الوقت ؟ فهو قلما يخرج من البيت •

ولما لم أجب بشيء عادت (سالي) تقول -

أتظن يا جيم أن في الامر سرا ؟

قلت وأنا أقف الى جانبها لانظر عبر النافذة الى بيت جارنا :

- قد يكون هناك سر كما تقولين وقد يكون الرجل مجنونا أو معتوها أو مجرما هاربا من وجه العدالة فقرر الاختباء هنا في منزل السيدة هارتفرت •

قالت سالي بهدوء وهي تعيد الستارة الى مكانها •

- لقد أصبح الامر مثيراً بالفعل .

دمعت عينا (سالي) وهي تقول جملتها الاخيرة .

فقلت بعد تفكير قصير :

- حسنا وماذا قررت أن تفعلي يا سالي ؟!!!!

قالت سالي بهدوء تام :

- أشياء كثيرة

قلت بفضـــول

- مثل مــــاذا ؟

قالت سالي ضاحكـــــة

- ستعرف فيما بعد ... ستعرف فيما بعد .

ولم تقل سالى كعادتها أي شيء آخر مما جعلني في حـيرة تامة مــــن أمرهــــا .

حضرت دونا لزيارتنا وكانت (سالي) في المدرسة فجلسنا نتحدث عــن هذا الجار الغامض وما يمكن أن تفعله (سالي) لتكشف حقيقته .

وقــالت دونــا :

- أنا أعرف سالي جيدا انها فضولية الى درجة لا تصدق وأخشى أن تفعل شيئا يعود عليها بالضرر.

قلت وأنا أحاول أن أهون الامر .

- ربما كانت سالي كما تقولين ولكنها في نفس الوقت أذكى من أن تتورط بسهولة في أي أمر من الامور التي تجول في ذهنك .

قالت (دونا) ضاحكة :

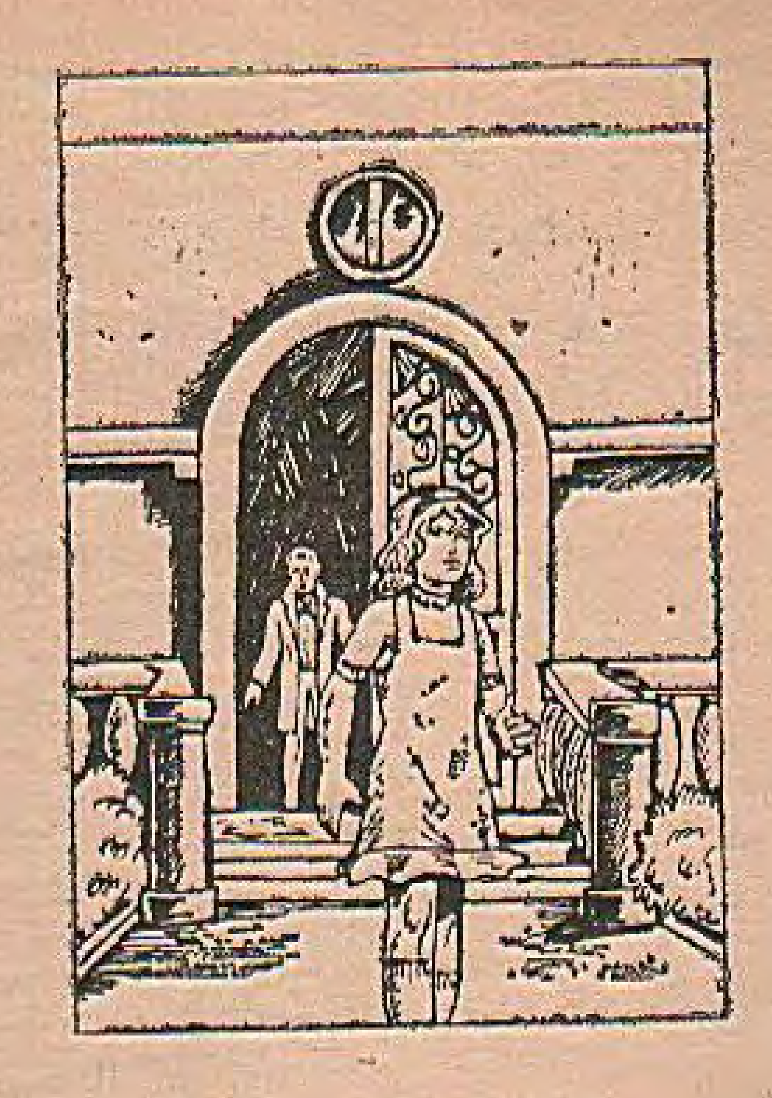
- هذا واضح الى حد ما . ولكن ألم يحن وقت عودتها من المدرسة ؟ لقد تأخرت .

قلت وأنـــا أنهض مــن مقعــدي وأنظــر الــى النافذة مترقبا مجيء (سالي) .

- لم تتأخر من قبل يا ترى ما الذي أخرها الــى هــــذه الساعة ؟

قالت دونــا :

- أيــن عساها تكون قد ذهبت ؟ أينبغي أن



لم أصدق نظري وأنا أرى سالي تخـرج من بيت
الســـــيد فيرجــل

تخبر والديـك بالامر ؟

قلت بارتباك :

ـ كلا أرجوك يا دونا لا داعي لاقلاقهما

صمتت دونا على مضض ثم قالت

ـ ولكن أين عساها ذهبت ؟!!

قلت فجأة :

ـ ها هي

أسرعت (دونا) الى النافذة الى جانبي وقالت
بلهفـــة •

ـ أيـن هي ؟!! يا الهي انها خارجة من منزل
جاركم الغامض اني لا اصدق ما أرى •

قالت (دونا) ذلك وهي تنظر الى الجار الغامض
وهو يلوح لها مودعا عند عتبة الباب •

قالت (دونا)

- مستعدة ان أعطيها كل ما جمعته في حصالتي لو أخبرتني فقط ماذا كانت تفعل هناك .

قلت ضاحكا :

- على مهلك يا (دونا) لن تخسري فلسا من نقودك لان (سالي) ستخبرك بكل شي بعد لحظات .

(٤)

دخلت سالي الى غرفتها وعلى وجهها ابتسامة عريضة توحي بالكثير .

قالت دونا التي لم تعد تحتمل الكثير من الصبر :

- اني لم اصدق عيني . كيف دخلت بيت هذا الرجل الغامض ؟ الم تخافي فعلا ؟

قالت سالي وهي تقترب من النافذة لتنظر من

خلال زجاجها الابيض الى الافق الارجواني .

- ولماذا أخاف ؟ لقد كان لطيفا جدا وهويدعوني للدخول واستعمال هاتفه الخاص بعد ان اخبرته بان هاتفنا عاطل .

قلت ببراءة :

- ولكن هاتفنا غير عاطل يا سالي

قالت سالي ضاحكة

- أعرف . ولكنها حجة لكي اتمكن من الدخول الى البيت ورؤية ما يمكن رؤيته هناك .

قالت دونا مقتربة أكثر من سالي

- وماذا تتوقعين الان ؟

قالت سالي :

- أتوقع أن يرن الهاتف بعد لحظات لذلك أرجو عدم رفع السماعة .

قلت بدهشـــــة :

ـ ولمـــاذا ؟

قالت ســالي :

ـ لاني أعرف من سيكن المتحدث •

قالت دونـا :

ـ ومن تـراه سيكون ؟

قالت ســالي وهي تجلس على المقعد

ـ جارنا الغامض السيد (فيرجل) • ســوف يتصل بنا لكي يتأكد من عطل هاتفنا •

وقبل ان تكمل سالي عبارتها رن الهاتف بقوة•

وحدقت سالي بوجهي قائلة :

ـ لذلك أرجو ان لا يرفع أحدكم السماعة

ـ ولكـــن قد لا يكون السيد (فيرجل) على الخط • ربما شخص آخر •

قالت ســالي بحــدة

ـ أجزم بأنه هو • ولا أحد سواه

توقف رنين الهاتف فجأة وبقينا صامتين لحظات تتبادل خلال ذلك النظرات القلقة ثم عاد الهــاتف



اتصل بنا الجار الغامض ليتأكد عن عطل هاتفنا

يرن من جديد • وتأكد لنا أن ظنون سالي في محلها ومن حسن الحظ أن أمي كانت في تلك اللحظات في المطبخ تعد لنا طعام العشاء •

(٥)

بعد تناول العشاء • جلسنا نحن الثلاثة فيغرفة (سالي) في الطابق العلوي والمطلة على بيت جارنا السيد (فيرجل) • قالت سالي بهدوء وهي تراقب تأثير كلماتها علينا •

ـ هناك شيء آخر أتوقع حدوثه هذه الليلة •

قلت :

ـ ما هو ؟

قالت سالي :

أتوقع ان يستقبل السيد فيرجل ضيوفا في

ساعة متأخرة من الليل • وهناك احتمال كبير أن يحدث هذا اللقاء بين السيد فيرجل وضيوفه في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل •

قالت دونا :

ـ أمرك عجيب يا سالي • كيف عرفت كل هذا ؟

قالت سالي :

لقد جذب نظري وجود حقيبة متوسطة الحجم مقفلة باحكام وقد وضعت في مكان بارز من غرفة الاستقبال في منزل السيد (فيرجل) وكما لاحظت ان منبه الساعة المنضدية كان يشير الى الواحدة بعد منتصف الليل • وأعتقد ان هذه الحقيبة ستسلم الى أشخاص مجهولين في ذلك الوقت •

قلت بدهشة :

ـ كيف تجزمين بأن هذه الامور ستحدث فعلا يا سالي ؟

قالت سالي :

ـ هناك دليل واحد يؤكد ما ذهبت اليه ظنوني.

قالت دونا :

ـ ما هو ؟

قالت سالي

ـ اني أتوقع أن يطفىء السيد فيرجل أضواء البيت ويخلد الى النوم من الساعة الثامنة أو الثامنة والنصف مساء واذا حدث هذا فان ما توقعته سيكون في محله .

وصمتت سالي لحظة . كان تفكيرها قد أخذها بعيدا عنا .

قلت متسائلا :

ـ أردت أن أعرف هل في المنزل (قبو) كبير أسفل البيت ؟

قالت (دونا) :

ـ دون شك . لقد ذكرت لي جدتي أن السيد



أتوقع أن يستقبل السيد فيرجل ضيوفا في ساعة متأخرة من الليل .

فيرجل كان يشترط لتأجير البيت وجود قبو كبير في أســــــفله .

قالت ســـالي :

ـ حسنا . أصبحنا الان أكثر قربا من الحقيقة.

قلت :

ـ أية حقيقة ؟ ما نحـــن الا مجموعة حـــائرة غرقت في بحر من الالغاز والمتاهات . ماذا يقودنا ذلك كله يا ســـالي ؟

ـ يقودنا الى بعض الشكوك الصحيحة التـــي نستطيع بواسطتها أن نصل الى الحقيقة الكاملة .

قالت دونـــــا :

ـ وماذا ستفعلين حتى تتأكدي أن الشـــكوك كانت في محلهـــــا ؟

قالت ســـالي وهي تجلس على المقعد في مواجهة النــــــافذة :

ـ ما علينا الا الانتظار . سنطفيء ضوء غرفتنا

ونقبع في الظلام نراقب ما يجري أمامنا .

قالت (دونـــا)

ـ حسن ولكـــن ذلك قد يستغرق وقتا طويلا وينبغي أن أعود الى المنزل . واذا تأخرت ستبقى جدتي في قلق شديد .

قالت سالي وهي تنظر نحوي

ـ حسن يا جيم كن شهما وأوصل دونا الـــى بيتها ثم عد الى هنا بسرعـــة .

لم يكـــن هناك مفر من الاستجابة الى طلـــب (سالي) فامسكت بيد دونا وقلت باستسلام

ـ حسن يا دونا هيا بنـــــا !

(٦)

قالت ســـالي مؤنبـــــة

ـ تأخـــــرت

قلت معتذرا وانا أحاول أن أتبين وجهها في الظلام الذي يغلف الغرفة : ــ آسف • صادفت صديقي توماس وتحدثنا قليلا •

ها يا سالي ما الاخبار ؟

قالت سالي بضجر

ــ كم الساعة الان ؟

قلت وأنا احدق في ساعتي الفوسفورية

ــ الثامنة والدقيقة العشرون •

قالت سالي :

ــ أمر غريب ! •• لم يطفيء النور حتى الان !

قلت :

ــ أتراه قد بدأ يشك في أمرنا ؟

قالت سالي :

ــ جائز ولكنه حذر جدا وعموما فان توقعاتي لن تخطيء رغم كل شيء •

بدأب أنثاب • وبعد صمت قصير قالت

سالي بضيق :

ــ ماذا هل نمت ؟

ــ كلا ولكنني أحاول أن أنشط يقضتي •

لم تجب سالي بشيء ظلت تحدق خلال النافذة• ومضت دقائق مملة على هذه الحالة وعادت سالي تسأل من جديد :

ــ جيم ••• كم الساعة الان ؟

ــ الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعون •

قالت سالي وهي تكاد تنفجر من الغيظ •

ــ لماذا لم يطفيء النور حتى الان ؟ أكاد أجن•

قلت :

ــ ربما غير رأيه • أو أصابه أرق مفاجيء •

قالت سالي بعصبية واضحة •

ــ جائز •• جائز •

وقبل أن تدق ساعة الحائط في غرفة الضيوف

التاسعة • بدأت الاضواء تهفت في منزل السـيد (فيرجل) جارنا الغامض وعندئذ لمحت ابتسـامة الرضا ترتسم على وجه شقيقتي العزيزة (سالي)

قلت :

ــ حسنا ها هي واحدة من ظنونك قد تحققت يا عـزيزتي • ماذا سنفعل الان ؟

قالت سـالي :

ــ لا شيء سـوى النـوم

قلـت ضاحكـا فقـط ••!؟

ــ فقط ولكـن بعد أن نجعل المنبـه يوقظنـا في الساعة الواحدة بعد منتصف الليـل •

قلت وكأني لا أصدق ما أسمع

ــ سالي • أتعنين ما تقولين حقا ؟

ماذا سنفعل في الواحدة بعد منتصف الليل ؟

قالت سالي ضاحكـة :

ــ لا شيء • سنتأكد من الجزء الثاني من ظنوني يا عـزيزتي •• وبهذه المناسبة اتمنـى لك أحلاماً سعيدة ونوماً عميقا •

وأسرعت سالي الى سريرها وتمددت عليه وبعـد لحظات كانت تغط في نوم عميق •

أما أنا فقد تمددت بدوري على السرير المجاور لسريرها بعد أن نصبت منبه الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل • وكلما حاولت أن أغمض عيني وجدت صعوبة بالغة في تحقيق ذلك • وحـاولت أن أنهض من الفراش لاوقظ (سالي) وأسألهـا عـن معنى كل هذا ••• ولكـن الوقت قد فـات كما يبدو ولم يعد هناك اي مجال لايقاظ هذه الملاك كي تجيب على اسئلة لا معنى لها في مثل تلـك الساعة المتأخرة من الليـل •

(٧)

لم تكــن الرؤيا التي شاهدتها في منامي أحلاما بمعنى الكلمــة • فقد كانت كلهــا كــوابيس ومطاردات مرعبة لم تنته الا بعد أن دقت ســاعة المنبه بصوتها لتعلن أنها هي الواحدة •

سكت المنبه ونظرت نحو (سالي) التي كانت تغط في نوم عميق وقد خطر لي أن أدعها تواصــل نومها وتنسى كل ما يتعلق بهذا الجار الغــامض ولكن هذا الخاطر سرعان مــا تبخر عندما رأيــت سالي تفتح عينيها وتنظر نحوي متسائلة :

ــ كم الساعة الآن ؟

ــ الواحدة تمــاما

ــ لماذا لم توقظنــي ؟

ــ ولكنك استيقظت من تلقاء نفسك يا سالى•

ــ هذا صحيح • كنت مستيقظة ولكنني تناومت لأرى هل ستفعل ما أوصيتك به أم لا •

قلت بضيق :

سالي ــ لننسى الامر كله ونترك الرجل وشأنه ونعود الى النوم •

قالت ســالي :

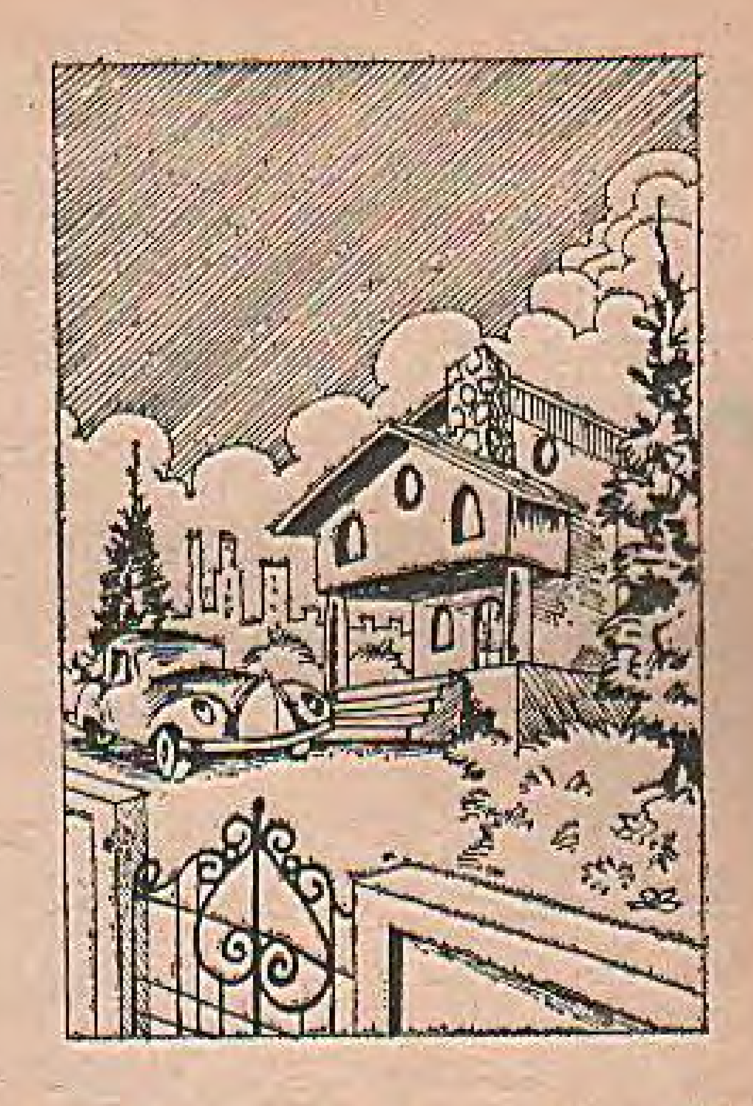
ــ لم يعد هناك أي مجال للتراجع يا جيــم ، علينا ان نمضي في الامر حتى نهايته •

قلت :

ــ ولكــن قد يكون الرجل شريرا • وربما يؤذيك أو يؤذينا اذا ما عرف بأننا نشك به •

قالت سالي وهي تتجه الى النافذة

ــ توقعت أن يحدث هذا • أنظر يا جيم تلــك السيارة ذات الطراز القديم • أنظر كيف وقفــت



في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل قدمت سيارة من طراز قديم ووقفت أمام بيت السيد فيرجل .

أمام بيت السيد فيرجل وسوف يضيء السائق ثلاث مرات لكي يطمئن السيد فيرجل ان الشرطة لا تتبعه وعندها سوف تضاء الانوار في بيت السيد فيرجل فيترجل الضيوف من السيارة بحذر شديد.

قلت :

ـ ولماذا لم يستعملوا منبه السيارة ؟

قالت سالي بغيظ :

ـ أتريدهم أن يوقظوا الحي كله ؟ أنظر لقد حدث كل ما توقعته . انهم ثلاثة رجال يرتدون المعاطف السود ويضغطون على جرس الباب .

مرت لحظات وعادت سالي تقول من جديد:

ـ سوف يخرج الرجال الثلاثة وهم يحملون الحقيبة الرمادية التي رأيتها في غرفة الاستقبال .

والغريب حقا ان ما كان يحدث أمامي هو نفس ما تتوقعه سالي .

قلت بدهشـــة :

ـ انه أمر عجيب حقا . وماذا تتوقعين أن يعمل هـــذا الرجـل ؟

قالت (سالي) وهي تراقب السيارة تنطلـــق بعيدا . وأضواء بيت السيد فيرجل تخفت مـــن جـديد واحدة بعد الاخرى .

ـ اذا لم اخطىء فاننا يا جيم جيران أعـزاء لمزور نقود من الدرجة الاولى .

قلت :

ـ هل أنت واثقة مما تقـولين ؟

قالت ســالي

ـ بالتأكيد ولكـن في الغد سوف أثبت لـك ذلك وسوف نزور قبـو السيد فيرجل

قلت :

ـ كيف ؟ هل سندق عليه الباب ونستأذنه في

كشف مخبئه السري ؟! هـل انت مجنـــونة يـا ســالي !!

قالت (سالي) وهي تعود الى فراشها المريح:

ـ لـن ندق عليه الباب . سندخل الى القبـو مـن مدخل سري تعرفه (دونا) .

قلت وأنا أعود بدوري الى فراشي

ـ سالي . لنفكر قليلا في الامـر . أخشى أن

: وقاطعتنـي ســالي :

ـ اطمئـن يا جيم لـن يصيبك شـيء. فلا تخف . أتمنى لك أحلاما سعيدة وتصبح على خير.

وقلت باستسلام مرة أخرى :

ـ وأنت من أهلـه يا سالي

نامت سالي من جديد ولكنني لم أنم لحظـة واحدة وبقيت حتى السـاعة الرابعـة صباحا أقلب

الامر في ذهني وأشعر بضيق لا حدود له حتى أتعبني التفكير في الامر وأغمضت عيني •

(٨)

طلع الصباح دون أن أتمكن من تخمين عدد الساعات التي نمت خلالها •

لاحظت أمي بأنني مرهق فقالت وهي تصب لي كوبا من الحليب على مائدة الافطار •

ـ ما الامر يا جيم ؟ تبدو وكأنك لم تنم دهرا بأكمله ، ان وجهك شاحب جدا ؟

قلت مستدركا :

ـ ربما سيتغير لون وجهي في الايام القادمة اكثر يا أمي •

لم تفهم أمي معنى كلامي ولكن (سالي)



ضحكت كثيرا وكادت أن تشهق وهي تأكل قطعة من البسكويت الذي تحبه • وضحكت بدوري وأنا أقول لامي مازحا :

ـ ان وجهي الشاحب سيتحسن كثيرا بعد هذا الضحك والمرح •

ولكن أمي ظلت ترمقني بنظرة مريبة وكأنها لا تصدق ما أقول • أما (سالي) فقد كان يجول في رأسها أمر أكثر أهمية من الضحك والمرح وكان من الصعب أن أعرفه ماذا قررت أن تفعل في ذلك اليوم • وسرعان ما عاودني القلق من جديد وبذلت جهدا كبيرا لاخفائه عن عيون ماما الفاحصة ومن حسن الحظ أن أبي كان مشغولا بقراءة جريدته اليومية فلم يهتم بما كان يجري حوله •

قالت أمي وهي تودعنا عند عتبة الباب

ـ تذكروا يا أولاد • لا تأخير •

أجبنا ونحن نلوح بأيدينا •

ـ اطمئني يا ماما •

تعمدنا أن نمشي أنا وسالي بخطوات بطيئة عند اقترابنا من منزل جارنا السيد (فيرجل) وقد وقفنا لحظات قصيرة تتأمل البيت فخطر لي ان أسأل (سالي) عما ستفعله بعد عودتنا من المدرسة• إلا انني غيرت رأيي في انتظار ما سيحدث بعد عودتنا من المدرسة •

(٩)

لا أنكر أن ذهني كان مشغولا طيلة الوقت وأنا أفكر فيما سيحدث لو ان خطة (سالي) فشلت• وقد مر الوقت بطيئا وشعرت وأنا أودع المدرسة

بحاجتي الماسة لمشاهدة (سالي) والتحدث اليها
وكم كانت دهشتي كبيرة عندما اكتشفت ان(سا
لا ترغب التحدث بالموضوع الذي كان شـ
الشاغل طيلة الساعات الطويلة في المدرسة !

قلت محتجاً :

ــ ما الذي حدث يا سالي هل غيرت فكرك
أمر جارنا السيد فيرجل ؟

قالت (سالي) ببرود أعصاب

ــ كلا ولكنني في انتظار دونا ألم ترها اليوم؟

قلت : كلا لم أرها • ماذا تظنين حدث لها ؟

ــ لا أدري •• ربما لم تحصل على المفتـ
بعد • أو لعلها مريضة • أعتقد أن علينا زيـا
(دونا) هذا اليوم ما رأيك ؟

فقلت بسرعـة :

ــ موافق • هل نذهب الان ؟

قالت (سـالي) :

هيـا •

ومشيت خطوات سريعة توقعت خلالها أن تقول
الي) شيئا ولكنها لزمت الصمت وكان ذهنها
شغولا بأمر خفي ترفض أن تفصح لي عنه • وقد
ايقني عدم تمكني من فهم ما يـدور في رأس
ديقتي الذكية •

قالت جدة (دونا) بجفاف وهي تستقبلنا عند
بـاب :

ــ ماذا تريدان من (دونا) ؟

فاجأتنا لهجة الجدة وارتبكنا بالفعل • قـالت
ـالي بهدوء :

ــ لم تحضر دونا الى المدرسة هذا اليوم فحسبنا
ها مريضة وجئنا لزيارتها •

قالت الجدة بغضب :

دونا ليست مريضة • اذهبا من هنا حالا •

ولكـن أي واحد منا لم يتحرك • بقينا ثابتي
في أماكننا نحملق فيها مندهشين • فعادت تقول :

ـ اذهبا من هنا واتركانا وشأننا •

قالت سالي بنبرة غاضبة ولهجة مخيفة :

ـ ما الذي حدث لدونا يا سيدة هارتفرت ؟!

قالت الجدة (بتردد) •

ـ دونا ليست مريضة لقد حبستها في الغرفـ
العليـا •

قلت بدهشة

ـ حبستيها •؟؟!!!

قالت (سالي) بهدوء

ـ لماذا فعلت هذا يا سيدة (هارتفرت) • دو
فتاة عاقلة جدا •

قالت الجـدة بحـدة :

ـ ضبطتها تسرق أحد مفاتيحي • هذا ما حدث!
هل يعجبـك هذا يا صغيرتي ؟• ها ! لمـاذا
لاتجيبين ؟ صديقتك ألس كذلك ؟

قالت (سالي) بألم شديد

ـ بالتأكيد يا سيدة هارتفرت وأرجو أن تبلغي
(دونا) تحياتي • ويؤسفني ما حصل لها •

التفتت (سالي) نحوي غاضبة وقالت بحـدة

ـ هيا يا جيـم • لنذهب •

لم أر (سالي) غاضبة • كما غضبت في تلـك
اللحظة وعدنا أدراجنا صامتين وحانقين وعندما وصلنا
قرب منزل جارنا السيد (فيرجل) توقفت سـالي
فجأة وأخذت تحملق في البيت •

قلت وانا استحثها على السير :

ـ هيا يا سالي لقد تأخرنا

كانت (سالي) في عالم آخر تماما • فاضطررت الى مناداتها باسمها أكثر من مرة • ولكن دون جدوى • قالت سالي وكأنها مسحورة بقوة خارقة •

ـ انه ينظر الينا • أشعر ان عيونه السوداء تختبيء خلف تلك الستارة الرمادية •

حاولت (سالي) أن تقترب أكثر من البيت الا انني أسرعت وأمسكت بيدها لامنعها من تلك الحركة الخطرة قائلا :

ـ سالي لا تكوني مجنونة • فلربما يراقبنا فعلا •

ولكن سالي سحبت يدها بقوة واتجهت نحو بيت السيد فيرجل وكادت الكارثة أن تقع لولا ان سمعنا في تلك اللحظة صوت (دونا) التي كانت تركض نحونا وبيدها مفتاح (القبو) الذي لم نصدق اننا سنحصل عليه وخاصة بعدما حدث لدونا بسببه •

(١٠)

قالت (دونا) وهي تلهث

ـ ليس هناك مجال للشرح ها هو المفتاح ويجب ان نتصرف بسرعة ••

قالت سالي :

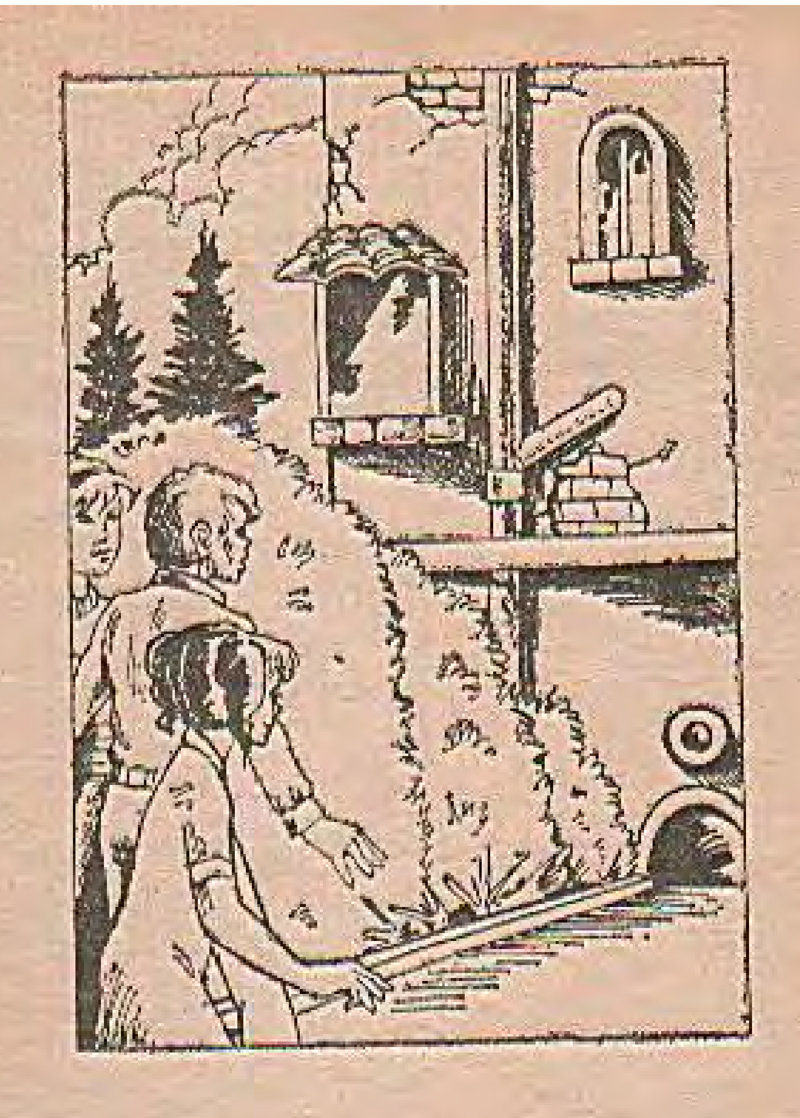
ـ معك حق ليس هناك وقت • هيا بنا

انطلقنا الى ناحية تقع خلف منزل السيد فيرجل •

كانت (دونا) تعرف المكان جيدا • وقالت وهي تشير الى مكان تكونت فوقه بقايا من شجيرات أقتلعت منذ فترة • وقالت دونا •

ـ حسنا علينا ان نرفع كل هذه الاكوام لنجد باب المدخل •

لم نضع الفرصة • بدأنا العمل بسرعة وحماس



كان علينا ان نرفع آكواما من الشجيرات لكـي
تجد باب المدخل السري للقبـو ••

ولكن الشعور بالقلق ظـل يلازمني طيلة هذه المدة اخيرة وجدنا المدخـل الـذي كان بالكـاد يتسـع لاحجامنا الصغيرة • وقالت (سالي) •

ـ سأدخل أنا أولا ثم يتبعني جيم ثم دونا •

بدأ التردد واضحا على وجه (دونا) ولكـن سالي شجعتها • وافقت (دونا) ولكـن التردد ظل مرسوما على وجهها • بدا لنا المدخل طويلا جدا • وأحسسنا أن أنفاسنا قد بدأت تضيق وتضيق ويبدو أن احتباس الهواء منذ مدة طويلة في هذا الممر قد ساعد على حدوث هذه الظاهرة •

وأخيرا وصلنـا

قالتها سالي بفرح وهي تفتح بالمفتاح البـاب الصغير الذي وضع في نهاية الممر الخانق • وما هي الا لحظات حتى كنا جميعا في داخل القبو •

أسرعت (دونا) وكانت أكثرنا خبرة بالمكـان

وأشعلت الضوء • فأصبح كل شيء من حولنا مضيئا •

دهشنا عندما أصبحنا وسط عدد من الاجهزة ! تبدو مثل اجهزة المطابع القديمة • فقالت (سالي) وهي تتأمل احدى الكليشات :

ـ تماما كما توقعت

قلت بدهشة : ماذا توقعت ؟

قالت دونا بقلق :

ـ خفضوا أصواتكم لئلا يسمعنا السيد فيرجل فتكون الكارثة •

عدت أقول بفضول وبصوت خافت

ـ ماذا توقعت يا سالي ؟ هـا ؟

قالت سالي ضاحكة •

ـ تزييف النقود يا جيم • ان جارنا الطيب السيد فيرجل ليس الا مزيف نقود •

قالت (دونا) ببراءة متسائلة

ـ وماذا سنفعل الآن ؟!!

قبل أن تجيب (سالي) سمعنا صوت السيدفيرجل وهو يقول :

ـ أنا أقول لكم

(١١)

كان تأخرنا عن الوصول الى البيت مثار قلق لامي فاتصلت بأبي في مقر عمله وأخبرته بتأخرنا •

كالعادة طمأنها أبي وأخبرها بانه سيمر في طريق عودته بالمدرسة فربما وجدنا هناك • ولكن القلق ظل مسيطرا على تفكير أمي وظلت تبذل كل جهدها في أمور المنزل لعلها تخففه وطأة القلق المسيطر عليها •

بعد ساعة كان أبي في البيت • عاد وحيدا وقال لامي التي كانت تنتظره على عتبة الباب بفارغ الصبر

ـ لم أجدهم في المدرسة • ألم يحضروا بعد ؟

وقرأ أبي في عيون ماما الجواب الذي لم يكن ينتظره •

قالت أمي بقلق :

ـ أين تراهم قد ذهبوا ؟

قال أبي :

ـ ليس عندي فكرة عن الامر • واعتقد انه من المستحسن ان نتصل بالشرطة فهم أكثر خبرة في معالجة مثل هذه الامور •

وصعقت أمي عندما سمعت كلمة (شرطة) فقد اضطربت كثيرا لان الامور قد وصلت الى هذا الحد •

وقالت أمي وهي تتبع أبي في طريقه الى جهاز الهاتف •

ـ هل تظن أن حادثا قد وقع لهم ؟

قال أبي وهو يحاول أن يطمئن أمي :

ـ أرجوك يا عزيزتي لا داعي لكل هذا القلق• يجب أن لا تذهب بنا الظنون بعيدا • والان اهدئي يا عزيزتي •

دعينا نعالج الامور بكل روية وكان من أصعب الامور أن تهدأ أمي وقبل أن يبدأ أبي بادارة رقم الهاتف دخلت السيدة (هارتفرت) وهي تصرخ غاضبة :

ـ أين دونا ماذا فعلتم بحفيدتي الصغيرة ؟

(١٢)

قال السيد فيرجل وهو يلوح بمسدسه نحونا :

ـ حسنا من هو صاحب فكرة الدخول الى

قال السيد فيرجل وهو يلوح بمسدسه نحونـ
ـ حسنا من هو صاحب فكرة الدخول الى هذا المكان

ـذا المكـــان ؟ مـــن ؟!!!•

لم ينطق أي واحد منا بحرف وحاولت (سالي) ـن تقول شيئا • ولكنها غيرت رأيها عندمـــا رأت ـسيد فيرجل وهو ينزل درجات السلم مقتربا منا • ووقف قريبا من سالي وبعد أن أطال التحـــديق في وجهها قال لهـــا :

ـ حسنا ، لا أظـــن أن أحدا في هذا المكـــان أكثر فضولا منك يا صغيرتي •

أرادت دونا أن تقول شيئا ولكـــن (سالي) أسكتتها في الحال وهي تقول :

ـ كلا يا دونا دعيه يقول كل ما يفكر به •

قال السيد فيرجل موجها حديثه لدونا

ـ اذن اسمك دونا فاذا لم أكـــن مخطئا فأنت الحفيدة العزيزة للسيدة (هارتنغرت) صاحبة هذا البيـــت !

أحنت دونا رأسها بالايجاب •

وعاد السيد فيرجل ليحك ذقنه بفوهـة المسد

ثم يعـــود ليتأمل (سالي) بطرف عينيه وهـــ

يقـــول :

ـ اذن يا صغـــيرتي فقـد عـرفت كل شي

بســـــــهولة ؟

ظلت (سالي) ملازمة للصمت فلم تجب بشيء

أما أنا فقد بدأت أعصابي تثور لدرجة اني فكر

بالهجوم على السيد فيرجل وطرحه أرضا • الا أن

نظرة سالي الحكيمة جعلتني أغير رأيي • وفضلـ

أن أنتظر قليلا ريثما يحدث ما يستوجب تدخلـ

فعلا وقلت موجها كلامي للسيد فيرجل :

ـ حسنا اذا لم تدعنا نخرج الان فيمكنـــك

استدعاء الشرطـة •

قال السيد فيرجل ضاحكا وهو يرمقني بنظرات

ســـــاخرة •

ـ أتظن اني من الحماقة الى هذا الحد حقا ؟!!

لزمت الصمت فلم أقل شيء • وهنـــا تدخلت

(سالي) قائلة :

ـ حسنا لابد انك عزمت على أمر • فمـاذا

قررت ان تفعل بنا يا سيد فيرجل ؟

قال السيد فيرجل ضاحكاً :

ـ دون شك يا صغيرتي هناك أمر سأفعلـــه

بكـــم ولكـــن ليس الان •

تبادلنا النظرات بحيرة • وحاولت (ســـالي)

أن تقرأ ما يدور في ذهـــن هذا المجرم ولكـــن

دون جـــدوى •

أخذ السيد فيرجل بعض الكليشات التي كان

يطبع عليها النقود المزيفة ووضعها في كيس نايلـــون

ثم عاد ينظر الينا باستهزاء •

ـ حسنا يبدو أن كل شيء قد أنتهى الان • لقد

أخذت ما أريده وسأترككم هنا تواجهون مصيركم •

سأدعكم تستنشقون قليلا من الغاز بعد أن أقفل كل المنافذ . عن اذنكم .

أشار السيد (فيرجل) بمسدسه بحركة استعراضية واتجه نحو المدخل السري وأقفل بابه بالمفتاح ثم وضعه في جيبه وهو يبتسم ابتسامة خبيثة، ثم لوح مودعا وبدأ يصعد الدرج وهو يبتسم تلك الابتسامة الماكرة المثيرة للاعصاب .

(١٣)

قالت السيدة (هارتفرت) بحدة :

ـ أنا لا أفهم أين يمكن أن أجد صغيرتي دونا في مثل هذا الوقت .

حاول أبي مساعدتها في الجلوس والتخفيف عما تعانيه بسبب اختفاء حفيدتها الصغيرة .

ـ أرجوك يا سيدة هارتفرت لنفكر بالامر بهدوء أين تعتقدين أنها ذهبت ؟

قالت السيدة هارتفرت بغضب فجائي :

أتظنين أنها ذهبت مع أولادكم ؟

قال والدتي بقلق شديد :

ـ هذا جائز . ولكن المسألة الان أخطر من كونهم قد أخطأوا أم لا يا سيدة هارتفرت . علينا علينا أن نجد دليلا لانقاذهم .

نهضت السيدة هارتفرت لتقول بغضب :

ـ ماذا تعنين باختفائهم يا سيدة هايمز ؟

قالت والدتي بهدوء مشحون بالقلق !

ـ اعنى لابد انهم في مكان ما أو مأزق (ما).

قالت السيدة هارتفرت :

ـ لا أظن أن دونا معهم اني أعرفه حفيدتي

جيدا • ولا أظنها تفكر في عمل من هذا النوع •

قالت أمي بعصبية

ـ أي عمل تقصدين ؟ اننا بالكاد لا نعرف أين اختفوا •

قالت السيدة (هارتغرت) بحدة :

ـ وماذا يعني ذلك يا سيدة هايمز ؟

قال أبي محاولا أن يهدىء الطرفين

ـ اعتقد اننا يجب أن نترك الامر لرجال الشرطة • أنهم أكثر دراية في مثل هذه الامور •

لزمت الصمت كل من أمي والسيدة هارتفرت •

وأتجه أبي الى الهاتف ليدير رقم الشرطة منجديد•

(١٤)

قلت لسالي ونحن كنا محصورين كالجرذ في المصيدة •

ـ هل تظنين أنه جاد في تهديده لنا ؟

قلت لسالي :

ـ وما المانع ؟ انه لا يتورع في شيء

قالت دونا :

ـ ان منظره لا يوحي بهذا القدر من الاجرام•

قالت سالي :

ـ لا تحكمي بالمظاهر يا عزيزتي • انه أفعى خبيثة في جلد انسان •

قلت لسالي بدهشة :

ـ وماذا تعتقدين يفعل الان ؟ لماذا لم ينفذ تهديده حتى الان ؟

قالت (سالي) بهـدوء :

انه ليس متعجلا • أنا على ثقة انه فوق يرتب بعض أموره قبل أن يغـادر البيت الـى مكـان مجهـول •

قلت :

ـ وهنا احتمال انه لا ينفذ تهديده • هل هذا جائـز يا سـالي ؟

قالت سـالي :

ـ ربما كانت هذه فرصتنا الوحيدة للنجاة •

قالت (دونا) بارتباك وخوف •

سالي ماذا سيحدث لنـا !؟!

التفتت سالي الى (دونا) وأمسكت بذراعيهـا الرقيقتين قائلـة :

ـ دونا • كوني شـجاعة وسـنجد طريقنـا

للخـلاص •

أجابت (دونا) :

ـ كيـف ؟!!!

قالت سالي وهي تتأمل المكان الذي بدأ لـي وكأنه قفص محكـم الاغلاق لا مفر منـه ولا نجـاة •

ـ لابد من طريقة (ما) •

التقت نظراتي بنظرات (سالي) وفهمت مـا يدور في ذهنهـا •

انها ليست يائسة تماما فالامل لا يزال يراودها للخلاص بأي شكل من الاشكال وان كان قد بدأ يزعجها ذلك الخوف الذي أخذ يرتسم على ملامح (دونا) ويسيطر على تصرفاتها •

قالت (دونا) بعصبية بالغـة :

أنا لا يهمني ما تفكران به ولكنني أريـد

الخروج من هنا بأي شكل أو ثمن .

قالت (سالي) بحدة وغضب

ــ كيف ؟! بمصباح علاء الديــن ؟

هل فكرت بطريقة للخروج بدلا من الشــكوى والتذمر يا دونا ؟

صمتت دونا ولم تقــل شيئا . أمــا أنــا فقــد أسرعت اقول لسالي هامسا :

ــ لا تكوني قاسية الى هذا الحد . ان دونـا لم تقصد شيئا .

قالت سالي وهي تنظر حولها بعصبية :

ــ انني ادعو الله ان لا ينفذالسيد فيرجل تهديده وساكون مخطئة لو انني قلت ان القلق لا يساورني .

سكتت (سالي) ثم التفتت فجأة نحو (دونا) وقالت بلهجــة عذبــة .

ــ آسفة يا دونا . أنا لم أقصد ...

وقاطعتها (دونا) قائلة :

سالي . أرجوك ...

فعانقتها سالي بحرارة وشعرت ببعض الاطمئنان. لقد كسبت (سالي) الجولة الاولى وها هي تعيد التوازن لشلتنا . وقد أصبحت (دونا) أكثــر استعدادا لتقبل ما يمكــن أن يحدث لنا . ولكــن ماذا سيحدث فعــلا ؟!

(١٥)

دق جرس الباب . فذهبت أمي لتفتحه .

فتحت الباب أمي فوجدت أمامها رجلا قصــير القامة . يرتدي معطفا رماديا ويمضغ اللبان بمــرح ويضع كلتا يديه في جيبــه .

قال الرجـــل

ـ أهـــلا

أجابت أمي بدهشة وتساؤل

ـ أهـــلا

قال الرجـل المـرح

ـ اسمي (بايك باين) • اسم لطيف • أليس كذلك يا سيدتي ؟

قالت أمي بدهشـة

ـ هل دققت الجرس لهـذا الغرض ؟

قال الرجـل المـرح :

ـ أظـن انكم اتصلتم بي •

قالت أمـي

ـ نحـن ؟

قال الرجـل المرح

ـ المعذرة • ألست السيدة هايمز ؟

لقد طلبنا زوجك السيد هايمز • نحن الشرطة



ـ اسمي (مايك باين) • اسم لطيـف اليس كذلـك يا سـيدتي ؟

يا ســـــيدتي •

قالت وهي تهز برأسها بأسف •

ـ هل دائما تستغرق كل هذا الوقت لتعــرف بنفســـــك ؟

قال السيد مايك وهو يمضغ اللبان بعصبية :

ـ السبب ان الكثير من الناس لا يسألونني عما أكون الا بعد أن يكون قد مضى وقت طويــل يا ســيدتي •

قالت أمي وهي تفسح له الطريق

ـ ربما لان منظرك يا سيدي لا يوحي كثيرا بمهنتــــــك •

قال الرجل المرح وهو يدخل البيت بهــــدوء ويتأمل المكان حوله بفضول

ـ ربما كان هذا من أسباب نجاحي فالجميـــع يتوقعون أن أكون انسانا آخر لا علاقة له بالتحري•

بالمناسبة أين يمكــن أن أجد زوجك ؟

قالت أمي بجديــة

ـ أتظنه أختفى هو الاخر ؟

فوجىء السيد (باين) بلهجة أمي الساخرة فلم يقل شيئا واكتفى بان يتبعها الى غرفة الاســتقبال حيث كان أبي يدخن غليونه بقلق والسيدة (هارتفرت) تذهب وتجيء بقلق بالغ •

فوجىء أبي ولم يقل شيئا واكتفى بان ينظــر الى السيد باين من أعلى رأسه الى أخمص قدميه •

وقالت السيدة هارتفرت :

ـ باين ؟!! يا لــه من اسم مضحك •

وقالت أمي موضحة :

ـ السيد بايــن سيجد أولادنا

نهض أبي وكأنما صاعقة كهربائية مسته فجأة أما السيدة هارتفرت فقد نظرت الى السيد باين نظرة غير

مصدقة وهي تتمتم :

ــ مستحيل !!

وكان موقف السيد باين لا يحسد عليه في تلك اللحظة • فقد كان عليه أن يثبت انه رجل تحر ماهر جدا بأسرع وقت والا تعقدت الامور كثيرا • وكانت نظرات السيد باين توحي بانه في حاجة الى من ينجده هو قبل ان ينجد غيره •

(١٦)

صرخت دونا فجأة :

ــ رأيت جرذا •

ــ أين ؟!!

قالت وهي تشير الى صندوق أبيض في ركن القبو :

ــ هناك •

كنا الثلاثة جالسين على الارض • وقد شبكنا أيدينا حول أرجلنا في انتظار ما يحدث •

وأخذنا تتبادل النظرات • وبدون أدنى شعور بالخوف بدأنا نبتسم • ثم أخذنا نضحك بصوت عال • وكانت دونا أكثر سعادة فلولا جرذها الابيض لما ضحك أي واحد منا ونحن في هذا الموقف العصيب

وفجأة رفعت سالي رأسها الى الاعلى • وقالت بلهجة آمرة :

ــ أصغوا

كانت ثمة خطوات تسير فوقنا في الطابق الاعلى•

قلت لسالي :

ــ ماذا تعتقدين يا سالي ؟

قالت سـالي :

ـ انه يجمـع حاجاته المهمـة لكي يهـرب كمـا أظـن •

قلـت :

ونحـن ؟!!! هل سيتركنا هنا ؟ مستحيل

قالت دونـا بضيـق

ـ لابد أن نفعـل شيئا

قـالت سـالي :

ـ لا تنسوا ان القبو عميق جـدا ولو صرخنا بأعلا أصـواتنـا فلن يسـمعنا أحـد • وأملنـا الوحيـد هو •••

هدأت (سالي) فجأة ونظرت الي وكأنها تريـد ان تنقل ما يدور في ذهنها •

قلت بلهفـة :

ـ أكملي يا سالي • بماذا تفكرين ؟

نظرت سـالي نحوي ثم نظـرت في وجه دونا • قبل أن تقول :

ـ أملنا الوحيد أن يتركنا السيد فيرجـل ويهرب دون أن يحاول القضاء علينـا •

قلـت :

أتظنـين انه يفعل ذلك حقـا

قالت سـالي وهي ترفع رأسـها نحو السقف

ـ وما الذي يمنعه مـن ذلك ؟

قلت وأنا أشاركها في النظر الى السقف

ـ اني أرجو من الله ان لا يفعل شيئا ضدنـا فنحـن أشبه ما نكون بفئران في داخل مصيدة

كانت دونا تنظر الينا وقد عاودها القلق والخوف مـن جديـد •

(١٧)

كان الوقت يمر بسرعة دون شك • ويبدو ان السيد المرح (مايك باين) قد رمى قطعة اللبان جانبا وبدأ يتحدث بالوقائع وكان سؤاله الاول موجها الى أبي :

ـ السيد هاينز ، ألم تلاحظ شيئا (ما) في تصرفات الاولاد ؟

قال أبي :

ـ ماذا تقصد يا سيد باين ؟

قال السيد باين :

ـ أعني لابد انك لاحظت غرابة في تصرفات الاولاد منذ فترة كأن يحاولوا أن يكتبوا سرا (ما) •

ـ سر !!!؟

قال السيد (هايك باين) وهو ينهض من مقعده •

ـ أعني أن يكون هناك شخص أو عدو حاول أن يختطف الاولاد ليحصل منك على فدية •

حاول أبي أن يضحك من هذه الفكرة ولكنه تماسك وهو يقول :

ـ لا أظنها فكرة صائبة يا سيد باين • ان دخلي محدود جدا وهو بالكاد يكفيني مع عائلتي الصغيرة •

حك السيد باين ذقنه وقد أدرك انه خسر الجولة وقال وهو يوجه نظراته الى السيدة هارتفرت

ـ اذن لابد من وجود سر (ما) ويجب اكتشافه حالا والا فاتنا الوقت •

قالت السيدة هارتفرت وهي أقرب ما تكون

للغضب

ـ اظن ان هذه هي مهمتك في هذا البيت

قال السيد باين بهدوء وهو يعود لمضغ قطعة جديدة من اللبان .

ـ هذا صحيح ولكني بحاجة الى معلومات وينبغي أن يساعدني الجميع في ذلك والا ...

وسكت السيد باين (فجأة)

قالت أمي بدهشة :

ـ والا ماذا ؟!!!!

قال السيد باين :

والا كما قال السيد (رسل) اذا لم تكن تعرف شيئا فأنت لا تنفع لشيء .

قال ابي بدهشة :

ـ ومن هو السيد (رسل) يا سيدي ؟

قال السيد باين مندهشا ومتعجبا

ـ الا تعرفه حقا ؟. انه رئيسنا في العمل وهو الدماغ الالكتروني يستطيع ان يفعل أي شيء بسهولة هكذا .

وفرك السيد باين بيديه بقوة .

قالت السيدة هارتفرت

ـ ليذهب رئيسك في العمل الى الجحيم .

أريد ان تجد الاولاد بسرعة وتعيد لي (دونا) .

قال باين بكل برود :

ومن هي (دونا) يا سيدتي ؟.

قالت السيدة هارتفرت وهي تدور حول السيد باين .

ـ انها حفيدتي الصغيرة . لا شك أن أحد (ما) قد ضحك عليها . دونا عاقلة ولا يمكن ان تقوم بأي عمل أحمق . أنا أعرفها جيدا . لابد أن شخصا (ما) قد خدعها وستعرفون ذلك عن قريب .

قال السيد باين وهو يمضغ لبانه بسرعة مضحكة.

ـ خـــدعها !!

قالت أمي متدخلة في الحديث :

ـ ماذا تقصدين يا سيدة هارتفرت ؟ أتعنين أن أولادي قد خدعوا حفيدتك ؟ هذا شيء فظيع .

قالت السيدة هارتفرت وقد وجدت تسليتها في مجادلة أمي .

ـ سوف يكتشف هذا الرجل الذكي الحقيقة كاملة يا سيدة هايمــز .

وقال أبي محاولا ان يخفف من الامر

ـ أرجوكم لا تتعجلوا الامور سوف نعرف كل شيء في الوقت المناسب .

قال السيد باين وهو ينهض من مقعده .

ـ حسنا أرى اننا سنطيل النقاش في أمــور بعيــدة عــن جوهر الموضوع لذلك أرجــوكم أن

تتذكروا بعض تصرفات أولادكم الغريبة .

وقال أبي محاولا : أن يخفف من الامر :

ـ أرجوكم لا تتعجلوا الامور سوف نعرف كل شيء في الوقت المناسب .

قال السيد باين وهو ينهض من مقعده .

ـ حسنا رأى اننا سنطيل النقاش في امــور بعيدة عــن جوهر الموضوع لذلك أرجوكــم أن تتذكروا بعض تصرفات أولادكم الغريبة خــلال الايام الثلاثة الاخــيرة .

قالت السيدة (هارتفرت) :

ـ تصرف غريب !! ان تصرفات دونا أكثرهــا غريبــة . وبخاصة في الفتــرة الاخيرة أعني منــذ أن أخذت زيارتهــا لبيتكم تزداد يا ســيدة (هايمــز) .

واحتدت أمي مــن جديــد .

ـ أرجوك يا سيدة هارتفرت لا داعي لكل هذا الهجوم بين حين وآخر .

وقال أبي :

ـ أرجوك يا سيد باين ينبغي أن لا تسمح بمثل هذه المجادلات العقيمة . فالوقت يمر ولا بد أن نجد الاولاد بأية طريقة كانت :

قال السيد باين :

ـ أجل ... هذا هو المهم تذكرت الان ما كان يقوله رئيسنا في العمل السيد (رسل) عندما يواجه مثل هذا الموقف العصيب .

وقالت أمي متوسلة

ـ أرجوك يا سيد باين دع رئيسك جانبا واهتم بقضيتنا فالامر خطير جدا .

ويبدو ان السيد باين قد استفاق من أحلامه فقال على الفور .



قال باين : أرجوكم تذكروا بعض تصرفات اولادكم الغريبة .

ـ معك حق يا سيدة هايمز لندع رئيسنا جانبا رغم ان ذلك يحز في نفسي كثيرا ولنهتم بالامر وتنفس أبي الصعداء .

وتبادلت أمي والسيدة هارتفرت نظرات العجب.

(١٨)

قالت دونا :

ـ لنحفر نفقا تحت الباب ونخرج منه

قالت سالي ضاحكة

ـ بماذا نحفر النفق يا دونا ؟

قالت دونا :

ـ باظافرنا يا سالي . بأي شيء .

قالت سالي ضاحكة :

ـ نحفر الاسمنت بأظافرنا يا دونا ؟

قالت دونا بعصبية :

ـ ألا توجد طريقة أخرى غير الانتظار ؟ لابد أن نعمل شيئا . لابد ان نجد حلا لذلك .

وقبل أن تجيبها (سالي) كان باب (القبو) قد فتح فجأة ، وأطل السيد فيرجل برأسه ولحيته وهو يقول ساخرا :

ـ مرحى يا أولاد . كيف الحال عندكم ؟

لم يجبه أحد منا . ولكن (دونا) نهضت فجأة واقتربت من أسفل الدرج الذي كان السيد فيرجل يقف في أعلاه .

ـ أرجوك يا سيد فيرجل دعني أذهب سوف تقلق جدتي كثيرا اذا لم أعد الى البيت .

قال السيد (فيرجل) ضاحكا

ـ أما انا فسوف تقلق جدتي أكثر لو تركتكم تذهبون .

قالت سالي بغضب وهي تنهض واقفة •

ـ دونا عودي الى مكانك أرجوك

قال السيد فيرجل :

ـ أهذه أنت أيتها الصغيرة الفضولية ؟• انـي لا أكاد أتبين ملامحك جيدا • انـك تمثلين دور الفتاة الشجاعة ولكن الدور اكبر منك يا عزيزتي • أنا أعرف أنك خائفة مثل الجميع فلا تحاولي أن تقنعيني بعكس ذلك • اليست هذه هي الحقيقة يا صغيرتي ؟

قالت (سالي) :

أنت مخطيء يا سيد فيرجل • لقد أخطأت كثيرا وسوف تدفع ثمن اخطائك غاليا •

قال السيد (فيرجل) ضاحكا :

ـ أما الان فأنت تمثلين دور رجل القانون • وهذا شيء آخر يثير سخريتي • ماذا تريدين مني ؟

هل أحضر لك الاغلال لكي تقيديني بها ؟ أليس هذا مضحكا •

لم تجب سالي بشيء ولكنها أمسكت بذراع (دونا) وسحبتها الى الخلف وهي تقول :

ـ تعالي يا دونا • لنعد الى مكاننا •

ولكن (دونا) سحبت يدها بعنف وهي تقول :

ـ أرجوك دعيني أتصرف وحدي • انا واثقة ان السيد فيرجل رجل نبيل ولن يتركنا هنا مع الجرذان والافاعي •

ابتعدت دونا عن سالي ووقفت من جديد تحت درج القبو وصاحت بأعلى صوتها :

ـ يا سيد فيرجل انك لن تتركنا هنا • أليس كذلك ؟!!!•• أليس كذلك ؟!

ولم يجب السيد فيرجل بشيء • ولكننا سمعنا

الباب وهو يغلق من جديد بعنف وقوة •

وهمست (سالي) بكل رقة :

لا فائدة يا دونا • لا فائدة •

والتفتت (دونا) تحرق بكل ما في داخلها من غضب وقالت بحنق :

ـ أنت السبب يا سالي • لولاك ولولا فضولك السخيف لما وصلنا الى هنا • ولما كنا في مثل هذا الموقف العصيب •

وانفجرت (دونا) باكية وقالت وهي ترتجف بعصبية بالغة :

ـ أجل أنت السبب يا سالي • انت السبب

عادت سالي الى مكانها حزينة مهمومة ولم ترفع بصرها عن الارض •

وشعرت أن سالي قد أصابها جرح كبير فنهضت واقفا ثم اقتربت من دونا لاقول لها موبخا :

ـ لم يكن لك الحق فيما قلته ابدا يا دونا •

لقد آلمتيها كثيرا •

ولكن دونا العصبية قالت بنفس الحدة والغضب :

ـ لا أريد أن اسمع شيئا • ومن أي أحد

وذهبت (دونا) لتجلس بعيدا عنا •

(١٩)

قالت أمي وهي تحاول أن تتذكر شيئا يساعد المحقق :

ـ كنت دائما مشغولة في المطبخ لم تتح لي الفرصة لمراقبة الاولاد وخاصة في الايام الاخيرة •

ولكني أتذكر انهما كانا قلما يغادران غرفة سالي :

قال السيد (باين) فجأة

ـ لحظة من فضلك يا سيدة هاينز

هل يمكنني أن أعرف أين تقع غرفة (سالي) ؟

قال أبــي :

ـ في الطابق الاعلى والجانب الايسر من البيت

قال السيد (باين)

ـ هل يمكنني أن أراها لو سمحتم ؟

قــالت أمــي :

ـ دون شك • تفضل

صعدت أمي وأبي والسيد باين الى غرفـــة (سالي) أما السيدة (هارتفرت) فقد ظلت في غرفة الاستقبال وهي تفكر في أي شيء يمكــن ان يستدل به المحقق بخصوص (دونا) والاولاد • وفجــأة تذكرت شيئا • تذكرت المفتاح الذي أخذته (دونا) من لوحة المفاتيح • فأسرعت الى الطابق الاعلى •

قال السيد بايــن وهو يتأمل غرفة (ســالي) ويفتح دولاب ملابسها • ثم يعود لينظر من النافذة• حيث مسكــن السيد (فيرجل) فقال بعـــد أن تأمل المكــان :

من الذي يسكــن في هذا المنزل ؟

قالت أمي :

ـ رجل اسمه السيد فيرجل

قال بايــن :

ـ ومن هو السيد فيرجل هذا ؟!!

قال أبي :

ـ بصراحة لا نعرف عنه أي شيء • وهو قلمــا يختلط بأحد من الناس كما لا يزوره أحد ايضا •

قال (باين) وهو يفكر •

ـ يبدو ان اسمه مستعار أيضا •

قال أبي :

ـ ماذا تعني ؟

قال بايـن :

ـ بالامكان أن يسمي أي شخص نفسه فيرجل أو ما شـــابه

قالت أمي وهي تتذكر ذلك المشهد اليتيم الذي ضبطنا متلبسين به وقد كنـــا نراقب بيت السيد فيرجـــل •

ـ اعتقد أن الاولاد كانوا ينظرون الى البيت

لسبب من الاسباب • ولكنني بصراحـــة لا ادري لمــــــاذا !

قال بايـن وهو يمضغ لبانه على مهل هـــذه المـــــرة :

ـ كيف يا سيدة هايمز ؟ اتظنين حقـا انه لا يوجد سبب لكي ينظروا الى هذا البيت ؟

قالت أمي بدهشة

ـ وماذا يمكـــن ان يوجد ؟!!

قال السيد (باين) وهو يستدير ليواجـــه الجميـــع •

ـ هذا ما سيخبرنا به السيد فيرجل نفسه •

قال أبي بدهشة :!

يا الهي • أتظن أن لهذا الجار الغامض علاقـة (ما) باختفاء الاولاد ؟!

قال بايـن :

ـ جائز • ولم أقل ممكـن

دخلت السيدة هارتفرت وهي تقول :

ـ أما أنا فأقول (ممكن) يا سيد باين • لقد سمعت كل ما دار من حديث في هذا المكان • وقد تذكرت الان وأنا في الطابق الاسفل شيئا اعتقـد انه مهم جدا في هذه القضية •

اقترب السيد باين من السيدة هارتفرت وأخـذ يمضغ لبانه بطريقة سريعة جدا وهو يقول :

ـ ما هـو ؟

قالت السيدة هارتفرت وهي تدخل الى الغرفـة وعندما توسطتها قالت بتردد :

ـ انه أمر مزعج أن أقول : انني اضطررت لمعاقبة حفيدتي (دونا) • لانها سرقت أحد المفاتيح من الخزانة • لقد سجنتها بسبب هذا العمل ولكن الشيطانة تمكنت من الافلات

قال السيد باين

ـ حسنا ولكن ما علاقة هذا بالقضية ؟

قالت أمي متدخلة :

ـ يجب أن توضحي للسيد باين ان السـيد (فيرجـل) قد استأجر البيت منـك يا سـيدة هـارتفرت •

قال بايـــن بهـــدوء :

ــ فهمت ولكـــن يا سيدة هارتفرت أتظنـــين أن (دونا) قد أخذت مفتاح البـــاب الخـــارجي للمنـــزل ؟

قالت السيدة هارتفرت بثقـــة :

ــ كـــلا لقد أخذت مفتاح القبو نعم أنا واثقة مما أقول انه مفتاح القبو وهنا تبادل السيد بايـــن وأبي وأمي نظرات متسائلة وقلقـــة ولـــم ينبس أحد بشفة • وقطعت السيدة هارتفـــرت الصمـــت قائلة : بحق السماء ماذا تظنون قد حدث ؟

(٢٠)

قالت (سالي) فجأة :

ــ هل تشمون شيئا ؟

قلت :

ــ نعم رائحة غـــاز

قالت (دونـــا)

ــ انا لا أشم أي شيء •

قالت (سالي) :

ــ انها رائعة غاز فعـــلا

اعتقـــد ان السيد فيرجل بدأ ينفذ وعيده •

قلت بحنـــق :

يا له من مجـــرم شقي

قالت (ســـالي)

ــ لـــن يفيدنا الغضب كثيرا يا جيم بعد قليـــل سنختنق جميعا وينتهي الامر الا اذا ••••

قلت :

ـ الا اذا ماذا يا سالي ؟

قالت ســـالي :

ـ الا اذا فعلنا شيئا ضد الاختناق

قلت :

ماذا يمكـــن أن نفعل ؟

قالت ســـالي :

ـ نستعمل أحذيتنا المطاطية . نضعها علـــى انوفنـــا لنمنع استنشاق الغاز .

قلت وأنا أنظر الى دونا :

ـ فكرة رائعة اليس كذلك يا دونا ؟!!!

قالت (دونا) باستنكار

ـ اني أفضل الموت مختنقة على ان أضع حذائي المطاطي على أنفي وفمي !

قالت (سالي)

ـ كوني عاقلة يا دونا علينا ان نفعل شيئا لكي نبقى أحياء أطول وقت ممكـــن .

قالت دونا بعصبية وقد اخذت تسعل بشدة :

ـ لن أفعل أي شيء . اتركوني ارجوكم .

مضت الدقائق بطيئة وبدأ الغاز يتدفق بقـــوة أكثـــر فأكثـــر . وأخذنا نسعل بشدة ومدت سالي يدها وأخذت تخلع حذاءها المطاطي وفعلت أنـــا نفس الشيء أما دونا فقد اكتفت بمراقبتنـــا دون أن تقوم بأي عمل لانقاذ نفسها .

(٢١)

قال السيد باين وهو يتحدث بالهاتف :

ـ ارجوك يا سيدي أريد موافقتك لاقتحام منزل السيد فيرجل فالشكوك كلها تتجه نحوه •

أجل أنا واثق مما أقوله ولا داعي للقلق •

القى السيد باين سماعة الهاتف وقال وهو يتنفس الصعداء •

اعتقد اننا الآن نستطيع ان نفعل شيئا مهما •

وهنا قالت السيدة هارتفرت فجأة :

ـ اعتقد ان بالامكان المساعدة أيضا • فلدي نسخة أخرى من مفتاح القبو الذي أخذته دونا

قال (باين) وهو يدلك يديه بسعادة •

هذا شيء رائع يا سيدة هارتفرت هيا اذن يجب أن لا نضيع الوقت •

(٢٢)

عندما فتحت (سالي) عينيها وجدت نفسها في السرير المجاور لسريري • ولم تصدق عينيها فقالت لي : ـ جيم ماذا حدث ؟

قلت ضاحكا :ـ

ـ يبدو أن أمورا عديدة قد حدثت بعد أن فقدنا الوعي •

قالت سالي :

ـ كيف عرفوا اننا هناك ؟

قلت :

انها قصة طويلة يا سالي ولا اظنك مستعدة الآن لسماعها •

قالت (سالي)

ـ ودونا هل هي بخير ؟

قلت :

ــ اطمئني • انها بخير • وبعد قليل ستحضر لزيارتك

قالت (سالي) مدهوشة :

ــ لزيارتي أنـا ؟

ــ بالتأكيد ستحضر لكي تعتذر منك • وقبل أن تجيب سالي بشيء • كانت دونا واقفة علـــى باب الغرفة وهي تحمل باقة من الزهور وهتفت من أعماق قلبهـــا •

ــ ســـالي •

وانحدرت دموعها ودموع سالي دفعة واحـــدة وهما يتعانقان بكل ود واخلاص واعترف أن دمعة بعيدة سقطت من عيني بالرغم مني وأنـــا أراقب المشهد المؤثر • في الوقت الذي كان فيه والـــدي ووالدتي والسيدة هارتفرت ، يراقبون المشهد وعلى

وجوههم ارتسمت ابتسامة السعادة والرضا والفخر •

قالت أمي بمرح بالغ :

ــ كيف حال الجميع ؟

قالت (سالي) بحماس :

ــ أمي • ماذا حدث للسيد فيرجل ؟

قالت أمي :

ــ لقد قبضت عليه الشرطة وهو يهم بمغادرة الدار • وضبطت الادوات التي كـــانت بحوزته • لقد كان مزورا كبيرا •

قالت ســـالي :

مسكين السيد فيرجل

قالت السيدة هارتفـــرت :

ــ تعطفين عليه رغم كل ما أراد ان يفعله بكم؟

قالت (سالي) وهي تهز رأسها بثقة :

— نعم رغم كل ما فعله بنا .

قالت السيدة هارتفرت باستغراب وتعجب وهي تقترب من سرير سالي .

— ان قلبك كبير يا سالي وأنا فخورة أن تكون لدونا صديقة مثلك .

وقال أبي وهو يدخن غليونه برضى وأعجاب باولاده :

— بالمناسبة يا أولاد . ان السيد فيرجل له اسم آخر . اسم حقيقي .

قلت بدهشة :

— حقا . وما هو ؟

قال أبي :

— اسمه روبي ليمون

قلت :

اسم غريب . من أين جاء به ؟

قالت أمي ضاحكة :



ـ ربما من عصير الليمون الطازج الذي سأحضره لكم بعد قليـــل •

وضحكنا جميعا • والفرحة تملاء قلوبنا •

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ١٣٠ لسنة ١٩٨٤